١٢
الأغصان

قدسيَّة الزواج في الكنيسة الإنجيليَّة

د. جورج حبيب بباوي

قدسيّة الزواج في الكنيسة الإنجيليّة

د. جورج حبيب بباوي

طبعة ثانية

جميع حقوق الطبع محفوظة فلا يجوز اقتباس أو إعادة نشر أو طبع للكتاب أو جزء منه بدون إذن الناشر

الكتاب: **قدسية الزواج في الكنيسة الإنجيلية.**

الكاتب: **د. جورج حبيب بباوي.**

الناشر: **دار الفكر الإنجيلي للترجمة والنشر والتوزيع.**

المراجعة اللغوية والتحرير: **القس أشرف شوق.**

إخراج فني وتصميم غلاف وتجهيزات طباعة: **القس نصرالله زكريا.**

مدخل للدراسة

تعرض الزواج الإنجيليّ في الأونة الأخيرة لحملة من التشكيك فيه وفي مصداقيته، وقد أثَّر ذلك على بعض الزيجات، وأثار بالفعل مشكلات كثيرة بين الأسر المصريَّة المسيحيَّة، ولا سيما عند الشروع في الارتباط، فسمعنا عن إعادة المعمودية للمقبلين والمقبلات على الزواج، وفي الواقع العمليّ والرعويّ هناك مشكلات كثيرة جرّاء هذه الممارسات، فالتصور السائد عند البعض هو أن الزواج الإنجيليّ غير صحيح، ويستعملون كلمات صعبة يعاقب عليها القانون مثل: الزنى والبطل، والطعن في شرعيته، لأنه لم يمارس بطريقة معينة.

ومن هنا ظهرت على الساحة المسيحيَّة في مصر المطالبة بإعادة الزواج، بدعوى أن الزواج الذي تم في الكنائس الإنجيليَّة زواج باطل. ويُعلَّم بهذا الفكر شفاهة

وكتابة ولقد صُدمت عندما قرأت كلمات الأنبا بيشوي في كتابه «شرح الإيمان الأرثوذكسيّ» يقول فيه: «فالذي يتزوج عند البروتستانت سيُفاجأ يوم الدينونة أن السيد المسيح سيقول له بإذن من هذه السيدة صارت لك زوجة؟ بحلّ مِن مَن؟ ألم يقل السيد المسيح أن ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء؟ فمن أين أخذت الحل أن تتزوج هذه المرأة؟ وأين حلول الروح القدس في سر الزواج؟ إذًا اعتبروه زواجًا على شريعة موسى فهي إذًا في هذه الحالة زوجته، ولكنهم ليسوا مسيحيين؟ فأنك إن تقابلت مع شخص يهوديّ يتزوج ويُطلق فمالك وشأنه فإنَّه يعيش على شريعة موسى في العهد القديم»[١]

إذا كان هذا كلام الأنبا بيشوي–الذي يمثل الكنيسة الأرثوذكسيَّة في كافة المحافل واللقاءات المسكونيَّة– فكيف يكون تعليم باقي الكهنة في القرى والنجوع، إنها أزمة حقيقية، نتمنى أن تنتهي، بالعودة إلى الأخلاقيات المسيحيَّة التي تُعلّم الحب واحترام الآخر.

تجاه هذه الهجمات التي تشكَّك في شرعية الزواج

---

١ نيافة الأنبا بيشوي، شرح الإيمان الأرثوذكسي، دير القديسين الطور– الأقصر، ٢٠٠٤، ص ٤٢–٤٣.

المسيحيّ الإنجيليّ نقدم لشعبنا الإنجيليّ هذه الدراسة: «قدسية الزواج في الكنائس الإنجيليَّة» التي قدمها د. جورج حبيب بباوي على صفحات مجلة الهدى، وهو مفكر أرثوذكسي مستنير. ولقد سبق نشر هذه الدراسة الجادة والمتميزة على صفحات مجلة الهدى أعداد (يناير، أبريل، مايو ١٩٨١).

إنها دراسة جادة ومستنيرة تصحح بعض المفاهيم المغلوطة، وهي خطوة أساسية على طريق التفكير الصحيح، نهديها لكل باحث ودارس. يشرح حبيب بباوي المعنى الكتابيّ «للزنى»، والزواج في العهد القديم، ومفهوم الزواج في العهد الجديد.

القس عيد صلاح

الفصل الأول

مفهوم الزنى[٢]

لست أريد أن أخوض غمار موضوع الزواج في التراث المسيحيّ في الشرق والغرب، فلست أظن أن صفحات أيَّة مجلة مسيحيَّة يمكنها أنْ تتسع لمناقشة ما دار من حوار وأحيانًا جدال بين اللاهوتيّين والأباطرة، وما أخطأت فيه مجامع، وما صححته مجامع أخرى، ما سمح به الآباء في القرون الخمسة الأولى، وما لم يسمح به العصور التالية، لا سيما العصور الوسطى، في الشرق والغرب.

ولا يتسع المجال «لفرز» القوانين المسيحيَّة، من قوانين الأباطرة الذين اعتنقوا المسيحيَّة وحافظوا على روح التشريع الرومانيّ غير المسيحيّ، في مسائل كثيرة دخلت بعد ذلك إلى قوانين الكنيسة. ربما جاء الوقت الذي أصبح فيه من الضروريّ أنْ نناقش ما أشرت إليه، ولكن- بشكل خاص-

٢ الهدى يناير ١٩٨١ العدد ٩٣٩ السنة ٧١ ص ١٢-١٣.

أود أن أقف عند سؤال هام ملح:

هل تعتبر الكنيسة الشرقيَّة الأرثوذكسيَّة عامة والقبطيَّة خاصة أنَّ الزيجات التي تعقد في كنائس أخرى غير أرثوذكسيَّة، وبشكل خاص الكنائس الإنجيليَّة «زنى»؟

لقد حاولت أن ابتعد عن استخدام هذه الكلمة البشعة «زنى» التي لا يمكن أن يوجهها مسيحيّ إلى مسيحيّ آخر، إلا إذا كان قد خان امرأة عهده وزنى بعد زواجه (ملاخي ٢: ١٤– ١٩)

«فَقُلْتُمْ: [لِمَاذَا؟] مِنْ أَجْلِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ الشَّاهِدُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ امْرَأَةِ شَبَابِكَ الَّتِي أَنْتَ غَدَرْتَ بِهَا وَهِيَ قَرِينَتُكَ وَامْرَأَةُ عَهْدِكَ.أَفَلَمْ يَفْعَلْ وَاحِدٌ وَلَهُ بَقِيَّةُ الرُّوحِ؟ وَلِمَاذَا الْوَاحِدُ؟ طَالِبًا زَرْعَ اللهِ. فَاحْذَرُوا لِرُوحِكُمْ وَلاَ يَغْدُرْ أَحَدٌ بِامْرَأَةِ شَبَابِهِ. [لأَنَّهُ يَكْرَهُ الطَّلاَقَ] قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ [وَأَنْ يُغَطِّيَ أَحَدٌ الظُّلْمَ بِثَوْبِهِ] قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. فَاحْذَرُوا لِرُوحِكُمْ لِئَلاَّ تَغْدُرُوا. لَقَدْ أَتْعَبْتُمُ الرَّبَّ بِكَلاَمِكُمْ. وَقُلْتُمْ: [بِمَ أَتْعَبْنَاهُ؟] بِقَوْلِكُمْ: [كُلُّ مَنْ يَفْعَلُ الشَّرَّ فَهُوَ صَالِحٌ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَهُوَ يُسَرُّ بِهِمْ]. أَوْ: [أَيْنَ إِلَهُ الْعَدْلِ؟].»

فهذا هو معنى الزنى في الكتاب المقدس بعهديه، فلا يسجل الكتاب المقدس أن العلاقة الزوجيَّة بين إثنين هي

علاقة زنى، أما إذا خان أحد الطرفين هذه العلاقة فهو يعتبر زانيًا.

وحتى المعنى الروحي للكلمة، أي عبادة آلهة غريبة (قضاة ٢: ١٧) لا يسمي زنى إلا في حالات الارتداد وبالذات بعد الدخول في عهد الرب المقدس (خروج ٣٤: ١٥- إرميا ٣: ٦- ١كورنثوس ١٠: ٨) أي أن الارتداد، بعد عبادة الرب إلى الآلهة الوثنيّة، هو «زنى» (هوشع ٩: ١) ولكن لا تستعمل الكلمة، قبل ذلك، في وصف الوثنيين الذين يعبدون آلهة غريبة، إن هؤلاء لا يوصفون بالزنى الروحي في كل الكتاب المقدس إلا في حالة العبادة الكنعانيَّة حيث كان الزنى بكاهنات المعابد في عبادة عشتاروث هو المقصود.

ولا يصف العهد القديم مطلقًا الزيجة خارج إسرائيل عند الشعوب الأخرى «بالزنى» وكان الزواج بالأجانب مباحًا في إطار معين حسب نصّوص سفر التثنية (تثنية ٢١: ١٠- ١٤) أما خلاف ذلك فالزواج زواج سواء مارسه المصريّون، أم الآشوريّون، أم البابليّون.... الخ. هؤلاء جميعًا كانوا يعرّفون أن الزنى هو خيانة الزواج، وخارج هذا المعنى لا يوجد معنى آخر في كل الكتاب المقدس.

وفي العهد الجديد نفس الموقف فلا مجال لاستخدام الكلمة إلا في معناها الخاص بالزواج، أي الخيانة الزوجيَّة (يوحنا ٨: ٣)، ولم يحكم مجمع الرسل على زيجات دنسة ولذلك لم يطلب من الراجعين إلى الله سوى الابتعاد عن الزنى (أعمال الرسل ١٥: ٢٠-٢١: ٢٥)

وفي كتابات الآباء جميعًا، لا سيما القرون الخمسة الأولى لا يوجد نصّ واحد يصف الزيجات التي تتم خارج الكنيسة بأنها «زنى». ونفس الكلام ينطبق على قوانين الكنيسة في الألف سنة الأولى.

فما الذي حدث حتى يفتح هذا الموضوع بهذا الشكل القبيح ويتهم أُناس بأنهم يعيشون في الخطية؟

إن الحجج كلها محصورة في نقطة واحدة وهي أن الإنجيليّين وغيرهم لم يتم زواجهم في كنيسة أرثوذكسيّة، وبالتالي فهذه العلاقة القائمة الآن هي علاقة غير شرعيَّة.

وبالطبع لا يصبح الاتهام موجهًا إلى الكنائس الإنجيليَّة وحدها، بل إلى كل الذين لم يتزوجوا في كنيسة أرثوذكسيّة لاسيما في إيبروشيات معينة، وهذا يحول الدنيا بأسرها شرقًا وغربًا إلى زناة، ويتعارض مع شريعة الله الذي وإن كان

قد أسس سر الزواج في العهد الجديد فهو لم يجعل سر الزيجة في الكنيسة المسيحيَّة قضاء وحكمًا بالدينونة على الآخرين لاسيما الذين يؤمنون بالثالوث، وبموت المسيح على الصليب، وبالكتاب المقدس و.... الخ.

دروس من تاريخ الكنيسة الأولى قبل الانقسام:

لعله من المفيد أن نشير في هذا المجال إلى الزيجات المختلطة بين مسيحيين أو مسيحيات وغير مؤمنين من الوثنيين، فهذه الزيجات لم توصف إطلاقًا بأنها زنى، ولم تنفها أو تدينها الكنيسة. نحن جميعًا نعلم أن هذا الوضع كان معروفًا قبل الإيمان ولم يطلب الرسول أن يتم الطلاق أو المفارقة لمجرد أن أحد الطرفين آمن والطرف الآخر لم يؤمن: «إِنْ كَانَ أَخٌ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُ مُؤْمِنَةٍ، وَهِيَ تَرْتَضِي أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ، فَلاَ يَتْرُكْهَا... فَلاَ تَتْرُكْهُ» (١كورنثوس ٧: ١٢-١٣) لماذا؟.. لأن الزواج قائم وصحيح لأنه ناموس إلهيّ طبيعيّ وضعه الخالق وسارت عليه الإنسانيّة في كل تاريخها، ولا يمكن بسبب ارتفاع مستوى المحبة والقداسة في العهد الجديد أن تتحول العلاقات السابقة على العهد الجديد إلى زنى. هذا تعريف ظاهر لا يحتاج إلى تفنيد. غير أن الذين يريدون الجدال، يسألون: وماذا بعد العهد الجديد؟

والجواب ظاهر من كلمة الرسول: «لأَنَّ الرَّجُلَ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ مُقَدَّسٌ فِي الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةُ غَيْرُ الْمُؤْمِنَةِ مُقَدَّسَةٌ فِي الرَّجُلِ.» (١كورنثوس٧: ١٤).

هذا التقديس يُعترف به بسبب عدم وجود زنى، ووجود علاقة زواج صحيحة مقدسة لأنها حسب ناموس الله المقدس وفي هذا المعنى بالذات يقول الرسول «وَإِلاَّ فَأَوْلاَدُكُمْ (أولاد هذا الزواج المختلط) نَجِسُونَ» أي ثمرة زنى ولكنهم ليسوا كذلك « وَأَمَّا الآنَ فَهُمْ مُقَدَّسُونَ» (١كورنثوس ٧: ١٤) وقد يقول قائل أن هذا الوضع كان معروفًا في العصر الرسوليّ فقط وهو وضع أوجبته الظروف.

ولكن هل اعترفت كنيسة الرسل بالزواج خارج الكنيسة؟

إنَّ الإجابة واضحة: نعم لأن الأولاد الذين ولدوا من هذا الزواج هم مقدسون وهي إشارة إلى أن هؤلاء الأطفال كانوا يُعمَدون حسب الدراسات الحديثة التي قام بها «يواكيم إرمياس» Jeremias وغيره.

واستمر الوضع معروفًا حتى القرن الخامس، والأمثلة التي نقدمها هي أمثلة لأُناس مشهورين عاشوا في الكنيسة الأولى وكان لهم صيت معروف ولعل أشهر هؤلاء هي

«نونا» Nonna أم القديس غريغوريوس النزينزى (سنة ٣٧٤) فقد تزوجت والد غريغوريوس «وهو أيضًا يدعي غريغوريوس» وكانت هي مسيحيَّة وأما هو فكان يتبع إحدى الديانات السريَّة المعروفة باسم Hypsistarian وهي مزيج من اليهوديَّة والوثنيّة والمسيحيَّة... وأنضم الرجل بعد ذلك إلى الكنيسة وتعمّد وصار أسقفًا، لكن «نونا» كانت عضوًا في الكنيسة في أثناء زواجها بهذا الرجل الغير المؤمن (مقالة ١٨: ١١ مجلد ١ من مؤلفات غريغوريوس عامود ٩٩٧).

وهناك مثال آخر «مونيكا» أم القديس أوغسطينوس (٣٣١– ٤٠٨م) كانت قد نشأت مسيحيَّة في بيت مسيحيّ (اعترافات أوغسطينوس ك ٩: ف ٢٨)، وتزوجت برجل وثنيّ وعاشت معه قرابة العشرين عامًا وكانت تتناول في الكنيسة، وتصلي، وتعلم ابنها أوغسطينوس الإيمان المسيحيّ. صحيح أن زوجها مات مسيحيًا في النهاية، إلا أنَّها لم تعامل أبداً كزانية لأنَّها لم تتزوج في الكنيسة ولكن المعاملة الصالحة جعلت ليس الزوج فقط، بل الابن بعد ذلك يعودان إلى الله.

ومثال آخر هو «ليتا» Leata وهي حماة السيدة النبيلة المشهورة «بولا» Paula (ماتت ٤٠٤) كانت ابنة كاهن

وثني اسمه البينوس، وأم مسيحية (رسالة ١٠٧ من رسائل جيروم)، ولكن جيروم العنيف جدًا لم يعاملها على إنها ثمرة زنى.

ولماذا نذهب بعيدًا وننسى الأسقف المصريّ سينيسيوس Synesius أسقف بنتابوليس Pentapolis في شمال أفريقيا، الذي تزوج وهو وثنيّ يتبع مذهب الأفلاطونيَّة المحدثة وكانت زوجته مسيحيَّة وعندما عاد إلى الله اعتمد وصار أسقفًا ويقول في رسالته (١٠٥) من الله وبالشريعة وبيدي ثيؤفيلوس «أسقف الإسكندريَّة» أخذت زوجتي وأعلن للكل وأشهد أنني لن انفصل عن زوجتي، ولن أزورها خفية لأنني صرت أسقفًا فهذا تصرف الزناة .. إنني أصلي لأن يكون لي أولاد كثيرون وأتقياء». وهذا النصّ هو النصّ الوحيد الذي يؤكد أن هذا الزواج المختلط تم في الكنيسة وبطقس الإكليل الذي حضره البطريرك الإسكندريّ ثيؤفيلوس.

فكيف يمكن أن يوصف زواج يُعقد باسم المسيح وحسب شريعة الزواج الواحدة، بأنها زنى؟! يا ليت التاريخ والآباء والكتاب المقدس يجعل غير العارفين يصمتون.

الفصل الثاني

الزواج في العهد القديم[٣]

أتمنى أن لا نرتد إلى العصور الوسطى باسم المحافظة والإيمان المسيحيّ، فدخول الكنيسة إلى العصور الوسطى وتبني أسلوب حياة وفكر العصور الوسطى معناه التنازل عن الحرية المسيحيَّة، وعن قداسة وكرامة الإنسان المخلوق على صورة الله (تكوين ١: ٢٦).

إن الكلام عن الزواج يمس الأسر المسيحيَّة، وهذه الأسر لها أبناء، أقارب وأصدقاء، موزعون على الكنائس المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة، والإنجيليَّة، والكاثوليكيَّة. والشتائم الموجهة إلى زواج الآخرين هي شتائم موجهة إلى الأسرة المسيحيَّة المصريَّة، وهو ما لا نقبله ولو كان باسم المسيحيَّة. فالمسيحيَّة لا تشتم وأن شتمت لا توجه الشتائم إلى نفسها!

لقد بدأنا بالكلام عن الزيجة دون أن نبحث مطلقًا

٣ الهدى أبريل ١٩٨١م ص ١٠-١٣.

موضوع العلاقات الجنسيَّة قبل الزواج أو حتى في الزيجة نفسها.

والذين أرادوا أن يتهموني سوف يجدون في كل ما يكتب وفي أي موضوع سبباً قوياً للإشاعات والتهم. ولكن الفكر السليم قادر على أن يحرك الإيمان السليم في أصحاب الضمائر السليمة.. وهم أكثريَّة والحمد لله.

عرضنا في الفصل السابق، كيف استخدم الكتاب المقدس بعهديه كلمة «زنى» وكيف حصر هذا المعنى في الخيانة الزوجيَّة، أو العلاقة الجنسيَّة قبل الزواج، ثم المعنى الروحي لكلمة زنى، كخيانة عهد الرب، وعبادة الأوثان.

وكانت المصادر المسيحيَّة من عصر الرسل حتى القرن الخامس، تؤكد وجود زيجات مختلطة بين مسيحيين وغير مسيحيين لم تأخذ الكنيسة ضدها أي إجراء، كما لم تمنع الذين تزوجوا بوثنيين من البقاء في الكنيسة وممارسة العضوية الكنسية.. وكان أشهر مثال لذلك من آباء القرن الخامس القديس أوغسطينوس... يهمنا ونحن نناقش الزواج بشكل عام أن نضع حقيقتين أمام القارئ وكل من يريد أن يبحث:

١. الزواج ناموس إلهيّ منذ الخليقة.

٢. الزواج سر إلهيّ وعطية خاصة، في العهد الجديد.

إن والنقطة الأولى لا تلغي النقطة الثانية، كما أن النقطة الثانية لا تلغي النقطة الأولى. فالتعليم عن الزواج في العهد الجديد بشكل خاص، لا يتعارض مع الناموس الإلهيّ الذي وضعه الله منذ خلق العالم.

هراطقة القرون الأولى:

من الناحية اللاهوتيّة البحتيَّة، الذين اعتبروا أن نعمة العهد الجديد تتعارض مع خليقة الله، كانوا جميعًا من إتباع الشيع الغنوسيَّة أو ضحايا هرطقة ماني. هؤلاء اعتبروا أن العالم شرير وأن الشر هو في المادة، وبالتالي يكون الخلاص هو التحرر التام من الجسّد. وهؤلاء بنوا تعليمهم على الإيمان بإلهين، الإله الخالق الشرير والإله الفادي المخلص. هذه الازدواجيَّة بين الخلق والخلاص يمكن أن تقوم في عقول الذين يحاولون تصوير الأسرار على إنها قضاء على نعمة الخلق، وهي بدورها عودة إلى المدارس الفكرية المنحرفة التي أشرنا إليها، والتي حاربتها الكنيسة الجامعة وقطعت كل القائلين بشر الخليقة من شركتها. هكذا يجب علينا أن نتأكد من وحدة الخلق والخلاص، قبل أن نناقش موضوع الزواج في العهدين فالأساس اللاهوتيّ

للزواج في سفر التكوين هو الذي بني عليه الرب يسوع المسيح له المجد، وهو أيضًا أساس تعليم الكنيسة الجامعة في كل مكان.

الزواج في العهد القديم:

لماذا وضعت قصة الزواج الأول في سفر التكوين أي في إطار خلق العالم؟. الجواب الواضح هو التأكيد على إن العالم المخلوق لأجل الإنسان، هو مخلوق لأجل الرجل والمرأة والنسل الذي سيأتي منها. في هذا الإطار وحده يمكن أن نفهم لماذا يقول سفر التكوين: «لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ» (تكوين ٢: ١٨). وعبارة ليس جيدًا– أو ليس حسنًا هي صدى لكلمة الله الخالقة التي رتبت الكون وخلقته من العدم وجعلت كل شيء حسنًا جدًا، أو جيداً جدًا. ولذلك فإن سؤال الله عن الإنسان هو سؤال الخالق عن حال الخليقة بشكل عام، وعن حال الإنسان الذي لا يكتمل كيانه، إلا بالزواج. ولذلك اعتبر علماء اليهوديَّة خلق المرأة، بمثابة كمال الخليقة. ويقول التلمود أن الرجل الذي بلا زوجة، ليس رجلاً.

فالإنسان الذي لا يتزوج لا يعتبر رجلاً كاملاً، فهو بلا فرح. وبلا بركة من الرب. ولذلك السبب لا تظهر كلمة

«عازب أو بتول» في العهد القديم. وكلمة «عذراء» هي وصف للمرأة غير المتزوجة، فليس في العهد القديم تعليم عن البتولية، والشخص الوحيد الذي طلب منه الرب عدم الزواج في العهد القديم هو إرميا النبيّ: (إرميا ١٦: ٢و ٣). وهذا الاعتقاد هو الذي جعل ابنة يفتاح تطلب مهلة لكي تبكي عذراويتها (قضاة ١١: ٣٧– ٤٠). فمأساة هذه الفتاة هي إنها غادرت هذه الدنيا دون زواج. وكلمة عذراء هي أحد الأوصاف المهينة التي استخدمت لوصف انحراف إسرائيل (عاموس ٥: ٢– مراثي ١: ١٥، ٢: ١٣)، فهي المرأة الوحيدة التي بلا رجل، أي المرأة غير الكاملة تمامًا مثل الرجل غير الكامل.

لنفس السبب جاء الوعد بالبركة للزواج (مزمور ١٢٨: ١–٥) ولنفس السبب أيضًا جاء الختان علامة للعهد بين الله وإبراهيم وهو ما يجعل الكلام عن الزواج، هو بمثابة الكلام عن استمرار الخلق واستمرار وعد الله بالبركة[٤].

كيف كان يتم الزواج في العهد القديم؟.

إن المشكلة الأساسية التي تواجه علماء الاجتماع

٤ يمكن مراجعة هذا الموضوع بتوسع في الدراسة الجيدة التي قدمها العالم الكاثوليكي. ٠لوسين ليجراند) في كتابه (التعاليم الكتابية عن البتولية) لندن، ١٩٦٣.

الدينيّ هو السؤال عما إذا كان الزواج مدنيًا أم دينيًا.. وفي الحقيقة أننا لا نجد أي إشارة إلى صلوات تقال في أثناء إتمام الزواج في العهد القديم.. وإن كانت الكلمة «علماني» من مفردات العصر الحديث وتعني أصلاً انعدام المراسم الدينيّة. ولكن الإنسان في العهود القديمة لم يفصل بين ما هو ديني وما هو مدني ولذلك لا يجب أن نطبق هذا التمييز المعاصر على ما كان يحدث مع الشعوب القديمة لاسيما في العهد القديم.

لكن من المؤكد أن حفلات الزواج كانت تقام بشكل يمكن اعتباره اليوم حفلات مدنية أي لا أثر للطقوس الدينيّة فيها، ولكن يجب الاحتراس التام لأن كل ما في الحياة المدنية في العالم القديم اعتمد في المراحل الأولى على العقيدة الدينيّة.

في العهد القديم يوصف الزواج بعبارات لاهوتيّة واضحة مثل «امْرَأَةُ عَهْدِكَ» (ملاخي ٢: ١٤) وطبعًا كلمة عهد هي أقوى وأهم الكلمات اللاهوتيّة.. ويوصف الزواج بأنه «عهد الله» (أمثال ٢: ١٧) ووراء هذه الكلمات اللاهوتيّة تكمن حقيقة ارتباط الله بشعب إسرائيل وليس مجرد الزواج نفسه (حزقيال ١٦: ٨) ولا توجد أي فكرة عن عقد الزواج

نفسه في العهد القديم سوى إشارة واحدة في سفر طوبيا[٥]. وقد عثر علماء الحفريات والآثار على عقود الزواج في جزيرة فيلة بجنوب مصر خاصة بالجالية اليهوديَّة هناك. ولكن أقدم إشارة هي قول رعوئيل لطوبيا «إله إبراهيم وإله اسحق يكون معكما وهو يجمعكما ويكمل بركته فيكما. فأخذ قرطاسًا وكتب فيه كتاب» (الزيجة وختمه) (٧: ١٥–١٨). وحسب قوانين حمورابي كان عقد الزواج مهماً. أما في العهد القديم فليس من إشارة واحدة لأهمية عقد الزواج.

أما كتاب الطلاق الذي أشار إليه السيد المسيح له المجد، فقد عرف بعد الرجوع من السبيّ (إرميا ٣: ٨) وإن كان سفر التثنية قد أشار إليه (تثنية ٢٤: ١– ٣). ولذلك لا يمكن أن نتصور وجود وثيقة زواج، والمشكلة التاريخيَّة هي عدم وجود وثائق زواج يهوديَّة في فلسطين، وما لدينا الآن يعود إلى العصر الرومانيّ فقط، وهو تأثير رومانيّ على اليهوديَّة ولكن إشارة سفر طوبيا مع وجود وثائق طلاق يدعونا إلى الإحساس بوجود وثائق زواج.

وقيمة عقد الزواج أساسية، فهو يحدد المهر ويحدد

٥ أحد أسفار الأبو كريفا، طوبيا مثله مثل المكابيين، ويشوع ابن سيراخ وكلاهما ضمن كتابات الأبوكريفا (المحرر)

الصيغة التي تقال عند كتابة العقد وهذه الصيغة تكشف لنا عن معنى الزواج ... وحسب عقود الزواج اليهوديَّة التي عثر عليها في فيلة كان الزوج يقول: «هي زوجتي وأنا زوجها من اليوم وإلى الأبد»، ولسنا نعرف إن كانت هناك صيغة خاصة بالمرأة. وصيغة سفر طوبيا هامة لأنها تقول من الآن أنت أختي أو من الآن أنت أخوها وهي أختك (٨: ١١).... وفي عقد زواج متأخر من القرن الثاني الميلاديّ يقول الزوج: «أنت تكونين زوجة لي».

والزواج بلاشك مناسبة سعيدة... وطقوس الزواج في غاية البساطة توحي بأنه مناسبة فرح للأسرة، وتظهر بعض العناصر التي احتار فيها علماء أفذاذ، ويمكننا أن نكون صورة واضحة من خلال نصوص العهد القديم عن طقوس الزواج ... كان العريس يلبس تاجًا على رأسه (نشيد ٣: ١١ مع أشعياء ٦١: ١٠) ويخرج العريس من بيت أبيه يحيط به الأصدقاء ويسير الكل في موكب الطبول (١مكابيين ٩: ٣٩) حتى يصل إلى منزل العروس. أما العروس فكانت تستعد بارتداء أفخر ما لديها والتزين بالجواهر (مزمور ٤٥: ١٤و ١٥و أشعياء ٦١: ١٠) وتلبس برقعًا فوق وجهها (نشيد ٤: ١، ٣، ٦: ٧) كانت تنزع البرقع في غرفة العروسين فقط.. ويفسر لنا هذا لماذا وضعت رفقة البرقع

على وجهها عندما رأت اسحق (تكوين ٢٤ : ٦٥) وبسبب وجود البرقع تمكَّن لابان من خداع يعقوب واستبدل ليئة براحيل (تكوين ٢٩: ٢٣– ٢٥).

وأما العروس فكانت تحيط بهما صديقاتها منذ خروجها من منزل أبيها إلى وصولها إلى منزل زوجها (مزمور ٤٥: ١٥، تكوين ٢٤: ٦١) وكانت الأغاني ترافق الموكب وغالبًا تدور حول مدح العروسين (إرميا ١٦: ٩) ولعل آخر نموذج لهذه الأغاني هي (مزمور ٤٥) وسفر النشيد.

وأحيانًا كانت العروس ترقص وهي في طريقها إلى منزل زوجها (نشيد ٧: ١) وكان العشاء هو وليمة العرس التي كانت الملابس الفاخرة هي الطابع المميز لها مع ذبح الخراف أو الماشية (تكوين ٢٩: ٢٢، قضاة ١٤: ١٠، طوبيا ٧: ١٤). وكانت الولائم أحيانًا تقام في منزل العروس كما رأينا في النصوص السابقة، ولكن كقاعدة عامة كانت الولائم تقام في منزل العريس (متى ٢٢: ٢٠). وكانت مدة الوليمة أحيانًا سبعة أيام (تكوين ٢٩: ٢٧، قضاة ١٤: ١٢)، أو أسبوعين (طوبيا ٨: ٢٠، ١٠: ٧). ولكن الليلة الأولى كانت أهم ليلة إذ كانت هي ليلة الزفاف (تكوين ٢٩: ٣٠، طوبيا ٨: ١).

وكان ختام الوليمة هو إظهار علامة بكورية الزوجة

على النحو المعروف إلى الآن في ريف الشرق الأوسط. وكانت الزوجة تحتفظ بقطعة من القماش ملوثة بالدم دليلاً على بكوريتها (تثنية ٢٢: ١٣– ٢١).

الخطوبة:

وقد ورد الفعل (أرسي) العبرانيّ عدة مرات وهو مرادف للفعل العربيّ «يخطب» (راجع مثلاً تثنية ٢٠: ٧، ٢صموئيل ٣: ١٤، هوشع ٢: ١٩، خروج ٢٢: ١٦). ولا توجد إشارة واحدة واضحة لمعنى «الخطوبة» أو فترة الخطوبة. ونرى في بعض الحالات وجود فترة ما بين الخطوبة والزواج، خطوبة رفقة تمت في ما بين النهرين أما الزواج فتم في كنعان (تكوين ٢٤: ١٧).

وطالت فترة خطوبة يعقوب إلى سبع سنوات (تكوين٢٩: ٢٠) وربما هناك إشارة في صموئيل الأول إلى «الوقت المحدد» (١٨: ١٧–١٩) وفي ذلك تأكيد على وجود اتفاق معين مرتبط بوقت خاص.

وكانت نصوص الشريعة تمنع أن يخرج الخاطب للحرب (تثنية ٢٠: ٧) ولم تكن الخطوبة بمثابة زواج لأن المعاشرة الجنسية قبل الزواج، كانت تعني الموت رجمًا أي

إنها في حكم الزنى، وبالتالي يختلف وضع الخطوبة هنا عن وضعها عند الشعوب الأخرى (تثنية ٢٢: ٢٣- ٢٧) ويبدو من النص العبراني أن والد الفتاة يقول للخطيب: «تُصَاهِرُنِي الْيَوْمَ» (١صموئيل ١٨: ٢١).

اختيار العروس:

صار تحديد السن القانوني للزواج أمراً جديداً ظهر في العصر الحديث نتيجة اكتشاف أثر نضوج الزوجة والزوج على تربية الأولاد وصحتهم العقلية، ولذلك لا يحدد العهد القديم سنًا معينة للزواج بالنسبة للرجل أو المرأة.

كانت العادة أن تتزوج البنت الكبرى قبل الصغرى (تكوين ٢٩: ١٦) والعادة الشائعة حتى الآن هي أن يتم الزواج مبكرًا ويمكننا بالاستناد إلى هذه العادة أن نقول أن السن الصغير كان مناسبًا للزواج في ظل الظروف الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة السائدة.. وفي عصر متأخر وهو عصر التلمود حدد علماء اليهوديَّة سن الزواج: ١٢سنة للبنت و ١٣ سنة للولد وطبعًا كان قرار الزواج بيد الوالدين، وكان الاقتصاد هو السبب لأن الوالدين كانا يعولان من يتزوج من أولادهم. وغالبًا لم يكن للأولاد أو للبنات رأي

واضح والمثال على ذلك هو زواج اسحق فقد أرسل إبراهيم عبده ليختار رفقة، زوجة لابنه وهي في الواقع اختيار العبد (تكوين ٢٤: ١٣– ٢٨). وقد سئلت رفقة، بعد أن تم الأمر لا قبله (تكوين ٢٣: ٥٧، ٨٥). وعلى ما يبدو من سفر التكوين أن بتوئيل كان قد مات ولذلك قام الأخ الأكبر «لابان» بإعلان الموافقة وحسب القوانين الآشورية كان الأخ الأكبر يسأل أخته في حالة واحدة فقط وهي حالة وفاة الأب.

وكانت الأم تختار لأبنها وقد فعلت هاجر هذا (تكوين ٣٨: ٦). وكان الأب ينصح أحيانًا ابنه بعدم الزواج من عشيرة معينة (تكوين ٢٨: ١، ٢). وقد طلب حمور دينه لابنه (تكوين ٣٤: ٤– ٦). وقرر كالب زواج ابنته دون أن يسألها (يشوع ١٥: ١٦). وطبعًا لا يمنع هذا من وجود أمثلة أخرى كان فيها يعلن الابن عن رغبته في الزواج دون أن يتقيد برغبات والديه مثل شمشون (قضاة ١٤: ١– ٣) وما نراه في الأسفار القديمة لم يتغير في عهد الاستقرار لأن شاول زوج ابنته دون أن يسألها (١صموئيل ١٨: ١٧) بل نرى طوبيا ينصح ابنه بخصوص الزواج، وتمت الموافقة على زواج سارة في غيبة سارة (طوبيا ٧: ٨– ١٢).

وحالما يتقدم أحد بطلب يد الفتاة كان الوالدان يتناقشان في الأمر ويدرسانه ثم يقرران المهر (تكوين ٣٤: ١٢). ومع ذلك يجب أن نؤكد أن سلطة الوالدين لم تكن مطلقة بل كان الوالدان يسألان عن رغبة الأبناء أو البنات (تكوين ٢٤: ٥٨) وأحيانًا كان الولد يصرح عن رغبته في الزواج من فتاة معينة (تكوين ٣٤: ٤، قضاة ١٤: ٢). وتوجد حالات تزوج فيها شباب دون أن يعرف الوالدان حتى بزواج ابنهما وأحيانًا ضد رغبتهما (تكوين ٢٦: ٣٤ و٣٥). ونادرًا ما كانت الفتاة تأخذ المبادرة، حتى في حالات الحب «ميكال ابنة شاول» (١ صم ١٨: ٢٠، ٢٨).

وكانت الأوضاع الاقتصاديَّة تسمح بالتعارف بين الشباب والشابات لأنهم كانوا يخرجون للعمل وكانت الفتيات يعملن في الحقول أو رعي الغنم (تكوين ٢٩: ٦) أو سحب المياه من الآبار (تكوين ٢٤: ١٥، ٣٤: ١). وكانت فرص الحديث مع الرجال متوفرة (تكوين ٢٤: ١٥، ٢٩: ١١-١٢). ورغم أن هذه الحرية أدت إلى بعض المشاكل وأحياناً حالات من الاغتصاب (تكوين ٣٤: ١، ٢) إلا أن العرف كان يقضي بحتمية الزواج في حالات الاغتصاب مع تقديم مهر زائد ويفقد الزوج حق تطليق زوجته التي اغتصبها قبل

الزواج (خروج ٢٢: ١٦، تثنية ٢٢: ٢٨، ٢٩). وهكذا أحاط المجتمع هذه الحرية بضمانات ووقاية.. ولا نسمع عن حالات للعلاقات الجنسيَّة قبل الزواج لأنها لم تكن معروفة كسلوك اجتماعي في المجتمعات القديمة.

وكان الزواج من الأقارب بشكل خاص يخفي وراءه التركيب الاجتماعي القبلي أو البدوي وذلك لأن الزواج من العشيرة كان أمرًا ضروريًا جدًا. وهذه القاعدة هي التي جعلت إبراهيم يرسل عبده لاختيار زوجة من عشيرته لإسحق وكذلك فعل اسحق مع يعقوب. ولنفس السبب يقول لابان أن يعقوب أفضل من الغريب (تكوين ٢٩: ١٩). وهو نفس سبب حزن منوح لأن شمشون لم يأخذ زوجة من عشيرته (قضاة ١٤: ٣).

وكذلك كان الزواج من أبناء وبنات العم وأبناء وبنات الخال شائعًا والأمثلة على ذلك معروفة مثل زواج اسحق ورفقة، يعقوب وليئه، وراحيل. وكان هذا عرفًا غير مدون حتى أن طوبيا اعتبر زواجه من سارة حسب شريعة موسى. ولكن كما نعلم لا يوجد نصّ يحتم زواج أبناء وبنات العم أو الخال.. ولكن طوبيا كان يفكر بدون شك في أسلافه القدماء (طوبيا ٦: ١٣، ٧: ١١– ١٢ مع تكوين ٢٤:

٤). وكان الزواج المختلط مباحًا، فقد تزوج يوسف من فتاة مصرية (تكوين ٤١: ٤٥)، وتزوج موسى مديانية (خروج ٢: ٢١)، وقد تزوجت النساء أيضًا رجالاً غرباء فقد تزوجت يتتشيع من أوريا الحثي (٢صموئيل ١١: ٣).. وكان الزواج المختلط شائعًا حتى إن سفر القضاة سجل .. « فَسَكَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسَطِ الْكَنْعَانِيِّينَ وَالْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ .. وَاتَّخَذُوا بَنَاتِهِمْ لأَنْفُسِهِمْ نِسَاءً..» (قضاة ٣: ٥، ٦)، على الرغم من أن سفر التثنية حرم هذه المصاهرات (تثنية ٧: ٣، ٤، خروج ٣٤: ١٥، ١٦).

وقد سمحت الشريعة للعبراني أن يتزوج من النساء اللاتي يقعن سبايا أثناء الحرب بعد القيام بعدة طقوس ربما كانت تعني إنهاء علاقتها بديانتها وعشيرتها (تثنية ٢١: ١٠– ١٤). وعند العودة من السبي ظهر أن الزواج المختلط كان شائعًا جدًا (عزرا ٩: ٢، ١٠: ١٨). ورغم موقف نحميا من الزواج المختلط إلا أن هذا الوضع ساد بعد ذلك (نحميا ١٠: ٣١– ١٣: ٢٣– ٢٧). ومنعت الشريعة الزواج من الأم والأخت (لاويين ١٨: ٦– ١٨) وكان من – المستحيل الزواج من الأب أو فروعه أما الزواج من الأخت غير الشقيقة فكان مسموحًا به (تكوين

٢٠: ١٢) وظل حتى عصر داود (٢ صموئيل ١٣: ١٣) رغم أنه منع في الشريعة (لاويين ١٨: ٩و ١١) وكان زواج العمة أو الخالة مسموحًا به ، فقد كان موسى نفسه ثمرة زواج من هذا النوع (خروج ٦: ٢٠، عدد ٢٦: ٥٩).. ولكنه منع بعد ذلك (لاويين ١٨: ١٢). وكان زواج أختين معًا من رجلٍ واحد وفي وقت واحد أمراً مباحًا والمثال الوحيد على ذلك هو يعقوب، ولكن هذا الأمر مُنع بعد ذلك (لاويين ١٨: ١٨). وكانت القوانين الخاصة بزواج الكهنة صارمة إذا منعت الكاهن من الزواج من زانية أو مطلقة (لاويين ٢١: ٧). وعلى ما يبدو كانت هذه القاعدة للكهنة فقط.

تعدد الزوجات:

إن شئنا دراسة موضوع الزواج فعلينا أن نعود إلى «سفر التكوين» الذي يعلن عن إرادة الخالق الذي شاء فأعطي زوجة واحدة لآدم (تكوين ٢: ٢١– ٢٤) ومن الواضح أن كتابة قصة آدم وحواء لم تكن بلا هدف بل كانت في حد ذاتها تأكيدًا لشريعة الزوجة الواحدة وهو ما حرص العهد القديم على تسجيله باعتباره الوضع المثالي الذي أراده الخالق عندما خلق مُعينًا دون أن يتعدى هذا إلى أكثر من واحدة.

وقد حافظ الآباء من نسل شيث على هذا المبدأ (تكوين ٧: ٧). وكان أول من مارس تعدد الزوجات هو لامك من نسل قايين الشرير (تكوين ٤: ١٩) وسفر التكوين يتضمن تحذيرًا خفيًا من تعدد الزوجات.. لكن هذا التحذير لم ينصت له إلا القلة. وقد ذكر العهد القديم الظروف التي أدت إلى ممارسة تعدد الزوجات ففي حالة إبراهيم، الذي التزم في البداية بمبدأ الزوجة الواحدة إلا أن زوجته سارة دفعته إلى الزواج بهاجر بهدف إنجاب نسل (تكوين ١١: ١، ٢). ثم عاد وتزوج قطورة (تكوين ٢٥: ١).

هؤلاء اتبعوا العادة القديمة التي سادت الشرق والتي سجلتها قوانين حمورابي (حوالي ١٧٠٠ ق.م). والتي كانت تعطي الزوج الحق في زوجة ثانية إذا كانت زوجته الأولى عاقرًا وحسب نصّ هذه القوانين كان الزوج يفقد حقه في الزواج الثاني إذا طلبت منه زوجته أن يتزوج من جارية من جواريها.. ولعل هذا فسر لنا طلب سارة.. وتعطي قوانين حمورابي الزوج الحق في أن يتخذ لنفسه «سرية» حتى إذا أنجبت زوجته .. وطبعًا لم يسجل لنا سفر التكوين شيئًا عن هذه العادات ولكننا في ضوء ما شاع من عرف في بلاد «ما بين النهرين» وما سجله حمورابي بعد ذلك يمكننا أن نفسر قصة إبراهيم وسارة على النحو الذي ذكرناه.

ولم تعطِ قوانين حمورابي ذات الحقوق للسرية، وكانت الزوجة تفضلها بشكل واضح.. كان إنجاب الأولاد أمرًا جوهريًا في تلك الفترة من تاريخ الإنسان، وكان عدم الإنجاب له عدة معانٍ اقتصاديَّة لا وجود لها اليوم في المجتمع الحديث. ولذلك أعطي العرف ثم القوانين الحق للرجل في أن يتزوج أكثر من مرة لأن هذا وحده كان الضمان الوحيد للحصول على الأولاد ولم يكن الطب قد تقدم إلى الدرجة التي يمكن فيها تحديد مسؤولية الزوج في عدم الإنجاب وهو ما أدى إلى اتجاه القوانين إلى تأكيد حق الرجل دون المرأة في الزواج من أكثر من واحدة.

وعلى الرغم من كل هذا فإن الآباء في العهد القديم اعتبروا أن الزوجة الواحدة هي القاعدة الأساسية، ورغم تعدد «السراري» ظلت الزوجة الواحدة هي الشخصية الأساسيَّة التي قامت عليها حياة الأسرة.

ولا يقدم لنا العهد القديم تعدد الزوجات على أنه الوضع المثالي، بل ذكر أمثلة له وما ينجم عنه من مشاكل، مثل يعقوب الذي تزوج بأختين وكلاهما أعطت جاريتها زوجة ليعقوب (تكوين ٣٠: ١– ٩) وكذلك عيسو الذي تزوج من ثلاث نساء مرة واحدة كن جميعًا على مستوى واحد من الحقوق (تكوين ٢٦: ٣٤، ٢٨: ٩، ٣٦: ١– ٥).

وفي الألف الثانية قبل الميلاد صدر القانون الآشوريّ الذي أعطى للرجل الحق في أن يرفع مكانة «السرية» إلى مكانة الزوجة. وكان هذا أهم تعديل للعرف القديم، وتقنين تعدد الزوجات. ونحن لا نرى أثرًا للقوانين الآشورية في العهد القديم، والأسفار التاريخيَّة (قضاة) لا تذكر قاعدة قانونية وإنما تذكر ما كان يمارس في الواقع، و»جدعون» اتخذ لنفسه عدة زوجات وسرية واحدة (قضاة ٨: ٣٠، ٣١) ورغم أن الشريعة اعترفت بصحة الجمع بين زوجتين إلا أنها لم تشر إلى أكثر من ذلك (تثنية ٢١: ١٥– ١٧). وقد عاد التلمود بعد ذلك في عصر متأخر وحدد عدد زوجات الرجل العادي «بأربع زوجات» والملك بثماني عشر زوجة. ولعل هذه القاعدة الخاصة بالزوجات الأربع في التلمود قد انتقلت بعد ذلك إلى شعوب وديانات أخرى.

من الناحية الاقتصاديَّة لم يكن كل رجل قادرًا على أن يعول أكثر من امرأة. مع أن بعض الشخصيات المعروفة في العهد القديم جمعت بين أكثر من زوجة مثل ألقانة والد صموئيل النبي والملك يوآش (٢أخبار ٢٤: ٣). وطبعًا لا داعي بالمرة لتكبير صورة الملك سليمان فقد كانت هذه الحالة شاذة بعثت إليها السياسة لكي يستقر السلام بينه

وبين الأمراء الذين عاشوا قريبًا منه والكثير من قصص تعدد الزوجات كانت لهذا السبب. ومرة ثانية نؤكد أن الحرص على النسل كان هو السبب الرئيسي في تعدد الزوجات.

وقد سجل العهد القديم أن الجمع بين زوجتين أو أكثر لم يكن سبب سلام ففي بيت القانة حدث الشجار (١صموئيل ١: ٦)، وسارة وهاجر مثال آخر (تكوين ١٦: ٤- ٥). ولأن الإنجاب كان هو السبب في تعدد الزوجات فقد كان الصراع بين الزوجات شديدًا، وكان كسب قلب الزوج هو الهدف من كثرة النسل (راجع بدقة تكوين ٣٠: ١). وكان تفضيل الزوج لزوجة معينة مصدراً لمتاعب كثيرة للأسرة (تكوين ٢٩: ٣٠، ٣١ ثم ١صموئيل ١: ٥).

وفي مرحلة متأخرة تدخل القانون بشكل حازم لكي يرث أولاد الزوجة المفضلة نصيبًا أكثر من أولاد الزوجة الأخرى (تثنية ٢١: ١٥- ١٧). وقد تركت هذه المشاكل أثرها الواضح على اللغة العبرانيّة نفسها إذ وجدت كلمة جديدة طريقها إلى العلاقات والحياة وهي كلمة «الضرة» (١صموئيل ١- ٦، سيراخ ٣٧: ١٢) وهي حرفيًا تعني المنافسة.

وإذا درسنا الأسفار التاريخيَّة من القضاة حتى الملوك نجد أن تعدد الزوجات قليل جدًا بل منعدم والسبب في ذلك دون شك هو نهاية عهد البداوة والتجول في البرية والاستقرار في المدن ثم ظهور المملكة. كل هذه التغيرات الاجتماعيَّة لعبت دورها الأساسي في تخفيف حدة تعدد الزوجات بل في اختفاء هذا الأسلوب تمامًا. ويبدو أن شريعة الزوجة الواحدة قد سادت وصارت المبدأ المثالي الذي يتغنى به سفر الأمثال (٣١: ١٠-٢١) حيث يظهر الزوجة الواحدة في وسط بيتها (راجع جامعة ٩: ٩، سيراخ ٢٦: ١-٤). وفي سفر طوبيا لا يظهر تعدد الزوجات مطلقًا.

ومن الناحية اللاهوتيّة لعبت قصة آدم وحواء أو قصة الزوجة الواحدة دورًا بارزًا في تشكيل لغة الأنبياء وتصوراتهم.. فقد صوروا إسرائيل- كأمة باعتباره زوجة واحدة للرجل يهوه (هوشع ٢: ١- ٤، إرميا٢: ٢١، أشعياء ٥٠: ١، ٥٤: ٦، ٦٢: ٤، ٥).وهذا يؤكد لنا أن شريعة الزوجة الواحدة كانت قد استقرت في ضمير الشعب قديمًا رغم ما نراه من ممارسات أخرى.

الفصل الثالث

الزواج في العهد الجديد[٦]

بحثنا في المقالة السابقة الزواج في العهد القديم بصورة شاملة، وما أحاط بالزواج من عادات وتشريعات كانت تراعي أحيانًا، ويهمنا الآن أن نضع اللمسة الأخيرة للمعنى اللاهوتيّ للزواج في العهد القديم حتى يمكننا أن ندخل في تفاصيل الزواج في العهد الجديد.

أولاً: الخلق

لا يعلّم الكتاب المقدس بوجود شعوب وقبائل وديانات، وإنما بوجود الجنس البشريّ الواحد، الذي قسمته الخطية والشرور، وهذا هو مدلول العبارة «وَكَانَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِسَانًا وَاحِدًا وَلُغَةً وَاحِدَةً.» (تكوين ١١: ١) ولكن الشر الذي أدخل الانقسام، وبدد الناس (تكوين ١١: ٨)، هو الذي جعل شريعة الخلق، حيث الناموس الطبيعي، محتاجة

٦ الهدى مايو ١٩٨١م العدد ٨٤٢ السنة ٧١ ص ٢٤-٢٥.

إلى إعادة وتجديد، فأفرز الله شعبًا يحمل رسالة الخلاص والهداية للآخرين، هذا هو مجمل دعوة إبراهيم، ونزول شريعة الله على موسى.

تعليم الكتاب المقدس في العهد القديم، هو دعوة لكل الشعوب والقبائل والألسنة لأن تعود وتطلب الرب، وأن تسبح الرب كل الشعوب لأنه سوف يطهر لسان الأمم (صفنيا ٣: ٩- أشعياء ٢: ٢، ٥٥: ١- ٦٦: ٢٠) فالخليقة هي كل الشعوب، التي تجتمع في آدم، والتي تعود أصلاً إلى الله. وتفرق هذه الشعوب بسبب غواية الوثنيّة، لا يعني أن الله رفضها رفضًا تامًا، بل هي مدعوة في بركة إبراهيم إلى قبول الإيمان (تكوين ١٧: ٤). وعلى هذا الأساس حدثت المصاهرة مع الأمم في أغلب فترات التاريخ، فلم يرفض أولاد إبراهيم الزواج بالشعوب الأخرى، ففي أعماق الوجدان الإنسانيّ أستقر الشعور بأخوة البشر وانحدارهم من أب واحد هو آدم.

ثانيًا: العهد

والعهد هو أحد دعائم الكتاب المقدس، ونقطة ارتكاز أساسية لا يمكن إغفالها، بل هو أحد المفاتيح الرئيسية لفهم العقيدة والتاريخ والأعياد والطقوس في العهد القديم، فهو

عمل الله في الخليقة، لكي يعلن عن نفسه. (خروج ٢٤: ١، ٨، ٩)، لكن خلف العهد على جبل سيناء يقف كل الأنبياء، لكي يعلنوا أن العهد هو عهد رحمة أو صحبة (حزقيال ١٦: ٦- ١٤). وأن الله سوف يقطع عهدًا جديدًا، ليس مثل العهد الأول، بل أعظم منه بكثير (إرميا ٣١: ٣١- ٣٤: ٢٠، ٢١). هذا العهد الجديد يقارن بشكل واضح بالزواج الذي داسته وخانته امرأة عهد، ولكن الله وهو الزوج سوف يعود إلى زوجته الخائنة لكي يدخلها في عهد جديد (هوشع ٢: ٢٠- ٣٧: ٢٦)، عهد يسكن فيه الروح القدس في داخل القلب حيث يوجد شريعة الحياة والحق (حزقيال ٣٦: ٢٦- إرميا ٣١: ٣٣). عهد زواج بين يهوه وشعبه (أشعياء ٥٤).

إن تجديد الخليقة هو مجال رسالة الأنبياء هدف العهد أن يقف الإنسان كاملاً في حضرة الله، وبسبب محبة الله وحدها. ومن العهد سوف يخرج الشعب الجديد، أي كنيسة المسيح. واستخدام كلمة «**شعب**» في لاويين وغلاطية، هو استخدام مقصود، فهي كلمة تؤكد أن ما حدث مع إبراهيم سوف يتحقق في نسل إبراهيم يسوع المسيح (لاويين ٢٦: ١٢- غلاطية ٣: ٧- رومية ٤: ١٣). واقتناء الله لشعبه أي «الكنيسة» بدم ابنه هو لب الكلام عن تحقيق مواعيد

الله لإبراهيم (أعمال ٢٠: ٢٨- ١ بطرس ٥: ٢- يوحنا ١٠: ١٦).

المسيح رأس الخليقة الجديدة ومركز العهد الجديد:

يتبلور الكلام الإلهيّ في العهد الجديد حول يسوع المسيح وحده فهو آدم الجديد، أو الأخير (١ كورنثوس ١٥: ٤٥- ٤٩) ولم يكن آدم الأول سوى مثالاً لمن سيأتي (رومية ٥: ١٢- ٢١). وإذا كان آدم الأول مثالاً وظلاً للحقيقة الآتية، أي يسوع المسيح، فكل شيء في الخلق الجديد، سيكون في يسوع المسيح رأس الخليقة (٢كورنثوس ٥: ١٧). وهنا نجد أن العودة إلى البدء، إلى الخليقة قبل الشريعة الموسويَّة، هي نقطة أساسيَّة في العهد الجديد، تؤكد أن كمال الناموس قد تم في المسيح وهكذا كملت الخليقة في المسيح ولم تعد محتاجة إلى المؤدب أو الوصيّ، لأن الإنسان سوف يخلع الطبيعة القديمة ويلبس الجديدة في المسيح، والجديدة، هي على صورة الخالق (كولوسي ٣: ١٠- غلاطية ٦: ١٥).

هكذا عاد رأس الخليقة إلى الكلام عن البدء، إلى ما كان قائمًا قبل السقوط واستعباد الطبيعة الإنسانيّة للفساد فالعهد الجديد هو عهد تحرير الإنسانيّة. وعهد الحرية لا يمكن أن

يستمر على نفس الناموس الموسويّ، "فَأَجَابَ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟» وَقَالَ: «مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». فَسَأَلُوهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَقٍ فَتُطَلَّقُ؟» قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلَكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا.» (متى ١٩: ٤– ٨)، فالعودة إلى الخليقة قبل السقوط، تشه تقريباً العودة إلى الطبيعة الجديدة، وهي طبيعة متحررة من الأهواء ومن الفساد، وهو ما يجعل تعدد الزوجات وإباحة الطلاق مستحيلاً، ذلك لأن النموذج الجديد هو آدم قبل السقوط، ليس آدم الأول، بل آدم الجديد قاهر الفساد.

الزواج كناموس طبيعي في العهد الجديد

إذا كانت الخليقة قد استعبدت للفساد والبطل (رومية ٨: ٢٠) فهي مدعوة في المسيح إلى حرية مجد أولاد الله (رومية ٨: ١٤و ٢١)، لكن هذا الانعتاق، وهو عمل النعمة، لا يتم إلا في الإنسانيّة المستعبدة، أنه لا يتم خارجها ولذلك لم يخلق الله من الحجارة أولادًا لإبراهيم (متى

٣: ٩). فالإنسانيّة مشدودة إلى مصدرين آدم الأول الميت فينا، وآدم الأخير الحيّ بقوة الروح القدس، وبالقيامة من الأموات يسوع المسيح ابن الله (رومية ١: ٤).

والإنسانيّة الميتة في آدم الأول، ليست مرفوضة من الله، لأن منها جاء المخلص، نسل المرأة، ابن آدم، ابن الله (لوقا ٣: ٣٨– غلاطية ٤: ٤). هذه الإنسانيّة الميتة لا تزال قائمة وسوف تظل كذلك حتى يوم القيامة، عندما يضع المسيح آخر أعداء الإنسانيّة تحت قدميه، عندما يبطل ناموس الموت، الذي أبطله، بالصليب وبالقيامة، في انتظار أن يتم ذلك في كل الذين يقبلونه، «نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢٢).

الانتماء إلى الإنسانيّة بمعناها الواسع كان نقطة الاتصال الأساسية بين الكنيسة والعالم، وفي نفس الوقت نقطة التمييز بين القديم والجديد.

على هذا الأساس قبلت الكنيسة استمرار حالات الزواج المختلط، واعتبرت أن الرجل مقدس في المرأة المؤمنة وهذا القول يعني الارتباط بالإنسانيّة (١كورنثوس ٧: ١٤)،

طرف ينتمي إلى آدم الأول وطرف ينتمي إلى آدم الأخير، وكلاهما في زواج مقبول من الله والكنيسة. فالتجديد عمل دائم، واحتمال عودة آدم الأول إلى الحياة الجديدة، هو أحد الأسباب الرئيسية لقبول هذا الزواج. لكن الانفصال ممكن. والرسول لا يشجع الانفصال لأن المطلوب هو أن يخلص الجديد الطرف القديم (١كورنثوس ٧: ١٦).

ذلك هو الوضع المعروف في عصر الرسل، وفي بداية انتشار الكرازة، وهو قائم على أساس لاهوتيّ واضح سمحت فيه الكنيسة ببقاء الزواج المختلط على أساس الانتماء الإنسانيّ كله إلى يسوع المسيح.

لكن من المؤكد أيضًا أن الكنيسة في عصر الرسل كانت تعلم بأن الراغبين في الزواج عليهم الارتباط بزواج في الرب فقط، على مثال عهد الرب مع الكنيسة جسده، وهو لب وجوهر الزواج المسيحيّ. (١كورنثوس ٧: ٣٩، أفسس ٥: ٣٢).

من المستحيل أن نتصور أن الكنيسة تشجع على استمرار ممارسة الزواج المختلط كممارسة عادية يقوم بها أعضاء الكنيسة، فالارتفاع بالزواج إلى القداسة لا يمكن أن

يتحقق إلا في يسوع المسيح. وهذا هو ما يقصده الرسول بدعوة الأرملة إلى أن تتزوج بعد وفاة زوجها بمن تريد في الرب فقط (١كورنثوس ٧: ٣٩).

لا خلاف مطلقًا على هذه القاعدة، فهي نابعة من قلب العقيدة المسيحيَّة ولا يمكن القضاء عليها إلا إذا شئنا أن نهدم تجديد الخليقة في المسيح وهذا يضعنا في مواجهة مع معنى السر في المسيحيَّة.

ملحق مكمل للدراسة
نظرة تاريخيَّة للزواج[٧]

لا رتبة كنسية حتى القرن الثامن:

«حتى القرن الثامن، كان المسيحيون يتزوجون بحسب الرتب والعادات (وكانت متنوعة جدًا) التي ورثوها من الشعوب التي ينتمون إليها. فكان الزواج يُعَدّ عملاً بشريًا ينظمه المجتمع ولا تحاول الكنيسة أن تتدخل فيه على مستوى الرتبة. في نهاية القرن الأول الميلادي كتب صاحب الرسالة إلى ديوغنيطس: «إنّ المسيحيين... يتقيدون بالعادات والتقاليد المحلية في ما يخص اللباس والطعام ونمط الحياة، مع أنهم يظهرون ما في جمهوريتهم الروحية

٧ يذكر جان بيو، تاريخ الكنيسة المفصل، ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي عن دار المشرق بيروت لبنان ط١، ٢٠٠٢، الجزء الثاني ص ٤٨-٤٩. أضيف هذا الفصل للدراسة السابقة بواسطة المحرر

من شرائع خارقة وغريبة... ويتزوجون كسائر الناس». وابتداء من القرن الرابع، تتحدث النصوص عن الزواج ببركة الكاهن ولكن ينبغي أن نفهم معنى هذه العبارة. فهي تعني أنّ الزوجين، في الجماعات المسيحية، التي كان أعضاؤها يعرف بعضهم بعضًا أكثر مما هو مألوف في أيامنا هذه، كانا يرغبان، يوم زواجهما، في استقبال الكاهن أو الأسقف، وكان هذا يبارك الزوجين الجديدين. فعمت هذه العادة شيئًا فشيئًا، من دون أن تتخذ الواجب الشرعيّ. لم يكن للزواج وجود بالمعنى الحقيقي. فينبغي أن نفهم الزواج المسيحي بالمعنى الروحي، إنه زواج بين مسيحيين، بحسب الفكرة الإنجيلية، ولكن مع مراعاة العادات المحلية. ففي روما ، وفي المناطق الخاضعة لها، كان الزواج يتم بالرضى المتبادل، أمام الأب، وفي البلدان الجرمانية، باتفاق العائلتين، ينص عن مهر يدفعه الشاب إلى والد الفتاة أو ولي الأمر.

ابتداء من القرن الثامن، بركة بعد الزواج:

مالت العادة تدريجيًا إلى أن تصبح البركة إلزامية في الزواج الأول، ومحرمة في الزواج الثاني المنعقد بعد الترمل. وكانت هذه البركة تمنح بعد الزواج. وفي القرن

الثامن أيضًا، قرر مجمع فرنوي (Verneuil) أنَّ تبادل الرضى يتم علنًا ولا بد لنا أن نفهم الأسباب. فبهذا التدبير، كانت الكنيسة تسعى لتحريم زنى ذوي القربى، والاقترانات بين أقرباء العصب، وخطف الفتيات–وكانت كثيرة في ذلك الزمان– والاقترانات المنعقدة بين مسيحيين وغير مسيحيين. ولكن، إذا كان البابا هرمسداس (٥١٤– ٥٢٣) قد قرر، في القرن السادس أنه «لا يجوز لأي مؤمن ان يتزوج سرًا، بل ينبغي له، بعد الحصول على بركة الكاهن، أن يتزوج علنًا أمام الرب»، فإن الزواج سرًا لم يكن فقط غير صحيح وقد أوضح البابا نيقولاوس الأول (٨٥٨– ٨٦٧) أن ليس هناك اي خطية ثقيلة إن أهملت الرتب الدينية، شرط أن يصرح الزوجان بالرضى المتبادل، فما يشكل الاقتران الصحيح هو رضى شخصين معمّدين.

في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، أصبح الزواج قضية كنسية:

أثناء القرنين الحادي عشر والثاني عشر، حدث تغيّر هام في موقف الكنيسة، فاضحى من الواجب أن يُحتفل بالزواج لا بحسب القواعد المرعية في المجتمع فقط بل أمام باب الكنيسة، بحسب القواعد الطقسية التي حددتها الكنيسة

ذاتها، وقد وصلت الكنيسة تدريجيًا إلى تحديد مفاعيل العقود المدنية.

ومن ثم اصبح دور الكاهن جازمًا. فكثيرًا ما كان يعطي هو نفسه الخطيبة لزوجها، وفي بعض الأحيان، يعطي الزوجين الواحد للآخر، أو يكتفي بأن يتراس الحفلة. ولكن– وهذا أمر أساسي– ما من أحد كان يستنتج، حتى ذلك الزمن، وبالرغم من الدور الجديد الذي نسبته الكنيسة لنفسها، إن الزواج المنعقد خارج حضور الكاهن كان غير صحيح.

إليك، بحسب ما كتبه اللاهوتي شيلبكس (Schillebeeckx)، كيف كانت حفلة الزواج تجري في القرنين الحادي عشر والثاني عشر: «بالإجمال، كانت الحفلات الكنسية التي تُمكن من عقد الزواج، تجري في مناطقنا كما يلي. عند مدخل الكنيسة، كان الكاهن يطلب رضى الزوجين المتبادل، وبعد ذلك، يأتي «تسليم الفتاة»: فإن الوالدين كانا يسلمان ابنتهما لزوجها. وعندئذ تتم تقدمة المهر وبركة الخاتم ووضعه في الإصبع. وفي الآخِر، كان الكاهن يمنح بركة الزواج. ثم يدخل الجميع من الطواف إلى الكنيسة للقدَّاس، وفي اثنائه تُمنح بركة خاصة. وعند

ذاك، كان الكاهن يعطي الزوج قبلة السلام، وينقلها الزوج لامرأته. وبعد ذلك، كثيرًا ما كانوا يذهبون لتبريك الغرفة الزوجية. فاللتورجية الكنسيَّة تبَّنت كل البنية التي وضعتها الحضارة المعاصرة للحفلة: فما كلن في الماضي عادةً مدنيَّة محضّة أصبح الآن «**الزواج الكنسيّ**».

وأخيرًا فإنَّ الأمور والرموز والأعمال القانونية المدنيّة، والعربون والخاتم والمهر وتشابك اليدين ووضع المنديل إلخ. والأشياء والعادات الآتية من حياة القبائل الجرمانيَّة والإفرنجيَّة والكلتيَّة واللومبرديَّة أو غيرها، انتقلت كلها إلى ليتورجية الكنيسة. ولقد تمَّ التطور إلى حد ما بتاثير من الحضارة اليونانيَّة الرومانيَّة أو الشرقيَّة، ولا سيما عن طريق القوط الغربيين في اسبانيا. أمَّا في رومة، فإنَّ الاحتفال بالإفخارستيا كان، ابتداءً من القرن الخامس، جزءًا من الحفلة. ذلك بأن الكنيسة كانت قد وعت أهمية الزواج الأساسية في نظر المؤمنين، فأرادت أن تضعه في حماية سرّ افيمان المركزيّ، اي ألإفخارستيا».

الزواج يُصبح سرًا من الأسرار الكنسيَّة:

إنَّ تلك المسؤولية التي تبنتها الكنيسة قادتها تدريجيًا إلى

القيام بتفكير عقائدي أساسي. ففي ذلك الزمن عينه تعمقت الكنيسة في تراث التقليد وعارضت احتقار شؤون الجسد الذي أظهره الكَتَارن فإنتهى بها الأمر إلى التصريح بأن الزواج هو سر من الأسرار، اي «آية» و»صورة» للإتحاد السري القائم بين المسيح والكنيسة... ففي سنودس محلي انعقد في ڤيرونا (Verona) سنة ١١٨٤م، للمرة الأولى، وكرد فعل للنزعات المانوية، سمّيَ الزواج سرًا من الأسرار، في وثيقة رسميَّة، إلى جانب المعموديَّة، والإفخارستيا، والتوبة: وكان لابد من انتظار القرن السادس عشر وصدور كتاب رتبة الزواج في ١٦١٤، لكي تخطو الكنيسة خطوة أخرى: «لا يجوز أن يُعقد الزواج عند باب الكنيسة، بل في داخلها، في مكان لائق، بالقرب من المذبح، وأمام خوري رعيَّة الخطيبة». واليوم صار كل زواجٍ لا يُحتفل به بحسب الرتب الجديدة يعتبر لاغيًا. ومازلنا في أيامنا نتقيد بهذه الأحكام!!.

تعرض الزواج الإنجيليّ في الآونة الأخيرة لحملة من التشكيك فيه وفي مصداقيته، وقد أثّر ذلك على بعض الزيجات، وأثار بالفعل مشكلات كثيرة بين الأسر المصريَّة المسيحيَّة، ولا سيما عند الشروع في الارتباط، فسمعنا عن إعادة المعمودية للمقبلين والمقبلات على الزواج، وفي الواقع العمليّ والرعويّ هناك مشكلات كثيرة جرّاء هذه الممارسات، فالتصور السائد عند البعض هو أن الزواج الإنجيليّ غير صحيح، ويستعملون كلمات صعبة يعاقب عليها القانون مثل: الزنى والبطل، والطعن في شرعيته، لأنه لم يمارس بطريقة معينة.

ومن هنا ظهرت على الساحة المسيحيَّة في مصر المطالبة بإعادة الزواج، بدعوى أن الزواج الذي تم في الكنائس الإنجيليَّة زواج باطل.

تجاه هذه الهجمات التي تشكِّك في شرعية الزواج المسيحيّ الإنجيليّ نقدم لشعبنا الإنجيليّ هذه الدراسة: **"قدسيَّة الزواج في الكنائس الإنجيليَّة"** التي قدمها د. جورج حبيب بباوي –وهو مفكر أرثوذكسي مستنير– على صفحات مجلة الهدى أعداد (يناير، أبريل، مايو ١٩٨١)، وفيها يشرح حبيب بباوي المعنى الكتابيّ لكل من الزواج والزنى في العهد القديم، و العهد الجديد.

إنها دراسة جادة ومستنيرة تصحح بعض المفاهيم المغلوطة، وهي خطوة أساسية على طريق التفكير الصحيح، نهديها لكل باحث ودارس.